من تحتها فاثابه الله الجنة على ذلك **فان قلت** يقال عبد ا مملوكا لا يقدر على شي وكل عبد هو مملوك
وهو غير قادر على التصرف **قلت** لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شي وكل عبد فهو مملوك لما ذكر المملوك فليتميز
من الحر لان اسم العبد عليهما جميعا لانهما من عباد الله تعالى واما قوله لا يقدر على شي احترز به عن المملوك المكاتب
والماذون له في التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقها بهذه الاية على ان العبد لا يملك شيا هل
يستوون ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوون الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير
البخيل والمعنى السخي كذلك لا يستوي الكافر والمومن والعاصي والطايع قال عطا في قوله عبدا مملوكا هو ابو
جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال الحمد لله حمد الله نفسه
لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لان هذه الاصنام التي عبدوها
هولا فانها لا تستحق الحمد لانها جماد عاجز لا تدل على احد معروف فثبت انما الحمد الكامل لله تعالى لا لغيره
فيجب على جميع العباد حمد الله تعالى لانه اهل الحمد والثنا الحسن بل اكثرهم يعني الكفار لا يعلمون يعني
ان الحمد لله لا لهولا الاصنام وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم وهو الذي ولد اخرس فكل ابكم اخرس وليس
كل اخرس ابكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شي وهو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل
وهو كل على مولاه اي ثقيل على من يلي امره ويعوله وقيل اصله من الغلظ وهو نقيض الحد ويقال كل السكين
اذا غلظت شفرتها وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه
فقوله وهو كل على مولاه اي غليظ ثقيل على مولاه اينما يوجهه يعني حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او
كفاية مهم لا يات بخير يعني لا ياتي بنجح لانه اخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم هل يستوي هو يعني صاحب
هذه الصفات المذمومة ومن يامر بالعدل يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفاية وهو ذو رشد
وديانة يامر بالعدل والخير وهو على صراط مستقيم يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون
الامر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله تعالى
لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من اثار رحمته والطافه وللاصنام التي هي موات جماد
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي لانها تحتاج الى الكلفة والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين
المومن والكافر فالمومن هو الذي يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يامر بخير فعلى
هذا القول تكون الاية على العموم في كل مومن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يامر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يامر بالظلم وهو ابكم هو ابو جهل وقيل الذي يامر بالعدل هو عثمان بن عفان رضي الله
عنه وكان له مولى يامره بالاسلام وذلك المولى يامر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يات
بخير وقيل المراد به الابكم الذي لا يات بخير ابي بن خلف وعثمان بن مظعون ولله غيب السموات والارض اخبر
الله عز وجل في الاية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا يخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شي منها وقيل الغيب هنا
علم الساعة وقيامها وهو قوله وما امر الساعة يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم فيه الناس لموقف
الحساب الا كلمح البصر يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين ايضا او هو اقرب
يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله تعالى والله تعالى اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فاسرع من لمح
البصر وهو قوله ان الله على كل شي قدير يعني دليل على كمال قدرته وانه تعالى مهما اراد كان اسرع ما يكون
قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي في لمح البصر ولكنه تعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شا
لا يعجزه شي قوله عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم تم الكلام هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة

سلاها

شيئا ها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدا فقال لا تعلمون شيا وجعل لكم السمع والابصار
يعني ان الله تعالى انما اعطاهم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب
والسنة وهي الدلايل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجايب
مصنوعات الله تعالى وعجايب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل الافيدة لتعقلوا بها معاني
الاشيا التي جعلها دلايل وحدانيته وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية يريد لتسمعوا مواعظ الله
وتبصروا ما انعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى
الاية والله خلقكم من بطون امهاتكم وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس الات
لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم بها ايضا وعبادته والقيام بحقوقه
والترقي الى ما يسعدكم به في الاخرة **فان قلت** ظاهر الاية يدل على ان من جعل هذه الحواس
الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما جعلت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن امه
قلت ذكر العلما فيه ان تقدير الاخراج وتاخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان
بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتوخر في بعض كلامها ط قول لما كان الانتفاع ٤
بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كان قد خلقت
قبل ذلك وقوله تعالى لعلكم تشكرون يعني انما انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من انعم بها عليكم
قوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات يعني مذللات في جو السما الجو الفضا الواسع بين السما والارض وهو الهوا
قال كعب الاحبار ان الطير يرتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك ما يمسكهن الا الله يعني في حال
قبض اجنحتها وبسطها واصطفافها في جو السما والهوا وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا
سخرها ومذللا ذللها وممسكا امسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهوا وهو الله تعالى وقوله تعالى ان
في ذلك لايات لقوم يومنون انما خص المومنين بالذكر لانهم الذين يعتبرون بالايات ويتفكرون فيها
وينتفعون بها دون غيرهم قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا يعني التي هي من الحجر والمدر سكنا
يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف وبيت وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين
احدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي البيوت من الحجارة والخشب ونحوها والقسم الثاني ما يمكن نقله
من مكان الى مكان اخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تستخفونها يعني
يخف عليكم حملها يوم ظعنكم يعني في يوم سيركم ورحيلكم في الاسفار وظعن البادية هو لطلب ما او مرعى ونحو
ذلك ويوم اقامتكم يعني وتخف عليكم في اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين ومن اصوافها واوبارها
واشعارها الكناية عايدة الى النعم ومن اصواف الضان ومن اوبار الابل ومن اشعار الغنم اثاثا يعني تتخذون
اثاثا والاثاث متاع البيت الكبير واصله من اث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس
رضي الله عنهما اثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال اجمع من الابل والغنم
والعبيد والمتاع وقال غيره هو متاع البيت من الفرش والاكسية ومتاعا يعني وبلاغا هو ما ينتفعون به الى
حين يعني الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت **فان قلت** اي فرق بين
الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق **قلت** الاثاث
ما كثر من الات البيت وحوايجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)